16 ème Année No. 775

Lundi — 10 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين أول رجب سنة ١٣٦٧ — ١٠ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى مذاهب الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

قد يغنى التمثيل حيث لا يغنى الدليل ، ولا سيما فى تلك المسائل التى تتفق فيها الآراء ولا يقع الخلاف عليها فى الحقيقة إلا لاختلاف الأسماء .

ومن هذا القبيل مسألة الحكم على المذهب الرمزى بينى وبين الكاتب الألمعى الأستاذ فريد بك أبو حديد .

فقد سألنى مندوب « الزمان » عن هذا المذهب فقلت له : إن كلمة الأدب الرمزى كلمة سخيفة ؛ لأن الأدب قبل كل شىء إفصاح ، فمن عجز عن الإفصاح فأولى أن يترك الأدب . ومن كان لا يتكلم إلا بالرموز فخير له أن يخترع له لغة أخرى غير هذه التى تواضع الناس على التفاهم بها . وليخترع إن استطاع نوعاً من الهيروغليفية القديمة تغنى فيها الصور والإشارات عن الحروف والكلمات » .

ووجه المندوب هذا السؤال إلى زميلنا الأستاذ أبى حديد بك فقال : « لا أوافق الأستاذ العقاد فيما ذهب إليه بخصوص الأدب الرمزى ؛ فإن كان هذا الأخير من نوع بيجماليون لبرنارد شو ، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم ، وتايس لأناتول فرانس ، فانه يعد من أسمى أنواع الأدب . ولعل اختلاف الرأى بين العقاد وبينى يرجع إلى أن الصورة التى فى ذهنى عن الأدب الرمزى قد تغاير تلك الصورة التى فى ذهن العقاد عنه » .

وهكذا أفاد تمثيل الأستاذ فريد للأدب الرمزى المقبول عنده فى التقريب — بل فى التوحيد — بين القولين .

فكل هذه الروايات التى تعجب الأستاذ تعجبنى ، وترتقى عندى إلى المرتبة الأولى فى فن المسرح والرواية .

ولكنى لا أحسبها من أدب « المذهب الرمزى » الذى تكثر الدعوة إليه بين الفرنسيين خاصة فى هذه السنوات الأخيرة ، لأنها لا تعمى ولا تتعمد التلبيس ، ولكنها من أصرح ما يقرأه القارئون

وإذا توسعنا فى التعبير فهى عندى من الرمز السائغ وليست من الرمز الممنوع .

لأننى — حين أجبت عن ذلك السؤال — عنيت الرمز الذى يلجأ إليه الكاتب عمداً وله مندوحة من الإفصاح ، أو عنيت الرمز الذى يهرب من النور وليست له معذرة فى الهرب منه .

أما الرمز على إطلاقه فليس هو بممنوع ولا مستهجن ، وقد بينت أنواعه فى مقال بمجلة الكتاب نشر فى أول السنة الماضية فقلت فيه بعنوان « مسوغات الرمزية » .

« إن التعبير بالرموز عادة قديمة فى تعبير الإنسان ، بل عادة قديمة فى بديهة الإنسان . فالحالم مثلا يعبر فى منامه عن شعور الضيق أو الخوف بقصة رمزية .. والكاتب الذى لم يعرف الحروف الأبجدية يرمز إلى المعانى بالشخوص والرسوم . وكهان الديانات رمزون ويعمدون كثيراً إلى الكنايات والألغاز ... والنساك

المتصوفون يرمزون لأنهم لا يستوضحون المعانى الغامضة التى تجيش بها نفوسهم فى حالة كحالة الغيبوبة ... وكان بعض الدول يقهر الرعية على عقيدة لا يدينون بها وقد يدينون بغيرها ، فيشيرون إلى عقائدهم برموز يفهمونها .. وقد يكون الرمز اختصاراً لعبارة مفهومة أو صورة ظاهرة ... فالرمز شىء مألوف فى تعبير الإنسان وفى طبيعة الإنسان ، ولكنه مألوف على حالة واحدة لا يخلو منها معرض الرمز والكناية ، وهى حالة الاضطرار والعجز عن الإفصاح ... فإذا لوحظت هذه الحالة فالرمز أسلوب متفق عليه لا يحتاج إلى مدرسة تنبه الأذهان إليه . فالخيالى لا يستشير مدرسة من المدارس لتشير عليه أن يحلم بالصور والتشبيهات ... والشاعر لا يهاب إذا مثل لنا الكواكب والأزهار فألبسها ثياب الأحياء . ومن ضاق به اللفظ فعمد إلى التخييل والتشبيه فالناس لا يحسبونه من هذه المدرسة أو تلك ؛ لأن المدرسة التى يصدر عنها فى هذه الحالة هى مدرسة البديهة الإنسانية حيث كان الإنسان .

هذه الرموز الطبيعية هى الرموز التى نعجب بها كما يعجب بها الأستاذ فريد .

أما الرموز التى وصفناها بالسخف فهى تلك الرموز الملفقة فى غير حاجة ولغير علة ، إلا ذلك الهراء الذى يتحدثون فيه عن « اللاوعى » ... و « اللاشعور » ، ويقولون إنهم يعبرون به عما لا يعيه العقل ولا يحيط به الحس الظاهر ، وهى جهالة منهم يسوقهم إليها أن الكلام عن « اللاوعى » وعن « اللاشعور » شىء جديد ، وكأنهم يحسبون أن الإنسان قد خلق مجرداً من هذا « الوعى الباطن » أو هذا الشعور الذى لا يعى نفسه قبل أن يتكلم عنه النفسانيون المعاصرون .

والواقع أن « اللاوعى » قديم فى الإنسان ، وأنه قد صدر عنه فى تخيله وتفكيره قبل أن نطلق عليه هذه الأسماء ، وإذا كان المعاصرون قد كشفوه أو أطلقوا عليه الأسماء فذلك أدعى إلى كشفه وتوضيحه ، لا إلى طغيانه على العقل والحس وإلغاء هذا وذاك كأنهما معطلان فى تعبير الإنسان وتفكيره ، عاجزان عن الإبانة والأداء .

فالتعمية المقصودة لغير علة هى الرمزية السخيفة التى ننكرها ولا نسيغها ، وهى وليدة التشدق بالمبتدعات الحديثة فى مذاهب علم النفس عن غير فهم ولا تمييز بين ما هو حديث فى الكشوف العلمية وما هو حديث فى طبيعة الإنسان .

إن الكلام الحديث عن طبيعة العقل كالكلام الحديث عن طبيعة النظر أو حقائق النور والإضاءة ، ونحن لا نغير نظارنا إلى الأشياء لأننا عرفنا عن دقائق العين ما لم نكن نعرف ، وكذلك لا نغير شعورنا بالدنيا لأن علماء النفس أطلقوا على الملكات النفسية فينا أسماء لم يعرفها الأقدمون .

ولكن هذه الطائفة التى تسمى نفسها بالمدرسة الرمزية تظن أننا قد خلقنا خلقاً جديداً بعد ظهور تلك المصطلحات على الألسنة فتلغى ما كان من تفكير وتعبير لغير سبب ، وتتعمد أساليب التعمية لأنها سمعت أن الوعى الباطن غير الوعى الظاهر ، وهما فى الحقيقة قد كانا كذلك منذ أول الزمان .

فليكن فى الأدب « رامزون » ، لأن الرمز أقرب إلى التوضيح والتأثير .

أما الرامز الذى تظهر له الحقائق فيضع يديه على عينيه لكى لا يراها ، فهو لا يرينا شيئاً قط يستحق أن نراه .

***

وقد سألنى مندوب الزمان أيضاً عن كلية الآداب ، فقلت له إن هذه الكلية لم تخرج أديباً واحداً منذ نشأت ، وأن الشبان الذين نبغوا منها فى الأدب قد نبغوا بجهودهم وملكاتهم على الرغم من سوء التعليم هناك ، وقيامها فى الغالب على قواعد الانتفاع وحب الظهور .

وسئل الأستاذ أبو حديد فقال : « أوافقه بتحفظ . وهذا التحفظ يرجع إلى أن الجامعة المصرية وليدة ربع قرن فلا ننتظر منها بعد ما ننتظره فى ربع قرن آخر ، وأملى أن تكون النتيجة طيبة » .

ولست أريد أن أخالف الأستاذ فى هذا التحفظ إلا بما يرضيه ويرضى الحقيقة .

فالأستاذ أبو حديد من خريجى مدرسة المعلمين العليا ، وهذه المدرسة قد أنشئت لتخريج المعلمين ولم تنشأ خاصة لتخريج الأدباء .

ولكنها — مع هذا — لم تنقض عليها سنوات حتى أخرجت للعربية أدباء من طراز محمد السباعى وعبد الرحمن شكرى وإبراهيم